

حكاية شاب نجا من وحل التصوف!

مقدمة كتاب (مصرع التصوف) للبقاعي

الكاتب

الشيخ العلامة عبد الرحمن الوكيل





أو

تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي

تأليف

العلامة برهان الدين البقاعي

٨٠٩ - ٨٨٥ هـ

تحقيق وتعليق

عبد الرحمن الوكيل

طبع على نفقة أحد المحسنين

تحت إشراف

رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء

الرياض - المملكة العربية السعودية

وقف لله تعالى

١٤١٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـة الكتـاب

الحمد لله الـذي أرسل رسولـه بـالهدى وديـن الحق، ليظهـره على الديـن كلـه، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله محمد خاتم النبيين، وسيد ولد آدم أجمعين،

وبعد: فإنه كانت لي بالتصوف صلـة، هـي صلـة العبرة بـالمأساة، فهنـالك ــ حيث كان يدرج بي الصِّبا في مدارجـه السِّحرِيَّـة، وتستقبـل النـفسُ كـلَّ صروفِ الأقدار بالفرحة الطـروب، وتستـنشي الـروح رَيَّـا الجمـال والحب مـن كل معـاني الحياة ــ هناك تحت شُفُوف الأسحار الوردية من ليالي القرية الوادعـة الحالمة، وفي هيكل عَبِق بغيوم البخور، جَثَـمَ على صدره صنـمٌ صغير يعبـده كـثير مـن شيـوخ القرية، هنالك في مطاف هذه الذكريـات الوَلْهَـى: كان يجلس الصبـي بين شيـوخ تَـغَضَّنَتْ منهم الجبـاه، وتهدَّلت الجفـون، ومشى الهرم في أيـديهم خفقـات حزينـة راعشة، وفي أجسادهـــم الهضيمـــة نحولا ذابــلا، يَتَــراءَوْنَ تحت وَصْوَصَة السراج الخافت أوهامَ رجاءٍ ضَيَّعَتْهُ الخيبة، وبقايا آمالٍ عصف بها اليأس.

وتَتَهدَّج ترانيمُ الشيوخ تحت السَّحَر ــ نوَّاحا بينها صوت الصبي ــ بالتراتيـل الوثنية، وما زال الصبي يذكـر أن صلـوات ابـن بشيش، ومنظومـة الدرديـر كانتـا أحب التراتيـل إلى أولـئك الشيـوخ، ومـا زال يذكــر أن أصوات الشيــوخ كانت تشرق بالدموع، وتئن فيها الآهات حين كانوا ينطقون من الأولى: (اللهم انشلني من أوحال التوحيد!!) ومن الثانية: (وجُذْلي بجمع الجمع منك تفضلاً) يـا للصبـي الغرير التعس المسكين!! فمـا كان يـدري أنـه بهذه الصلوات المجوسيـة يطـلب أن يكون هو الله هويَّةً وماهيةً وذاتاً وصفةً!! ما كان يدري ما التوحيـد الـذي يضرع إلى الله أن ينشله مـن أوحالـه!! ولا مـا جمع الجمـع الـذي يـبتهل إلى الله أن يمن بـه عليه!!.

ويشب الصبي، فيذهب إلى طنطا ليتعلم، وليتفقه في الدين. وثمت يسمع الكبار من شيوخه يقسمون له ولصحابه: أن (البدوي) قطب الأقطاب، يصرِّف من شئون الكون، ويدبر من أقداره وغيوبه الخفية!! ويجرؤ الشاب مرة فيسأل خائفاً مرتعداً: وماذا يفعل الله؟! ويهدر الشيخ غضباً، ويزمجر حنقاً، فيلوذ الشاب بالرعب الصامت، وقد استشعر من سؤاله وغضب الشيخ أنه لطَّخ لسانه بجريمة لم تُكتب لها مغفرة!! ولم لا؟ والشيخ هذا كبير جليل الشأن والخطر، وما كان يستطيع الشاب أبداً أن يفهم أن مثل هذا الحبْر الأشيب ـــ الذي يسائل عنه الموت ـــ يرضى بالكفر، أو يتهوَّك مع الضلال والكذب. فصدق الشابُّ شيخه، وكذَّب ما كان يتلو قبل من آيات الله ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾!! (١٠-٣) ثم يقرأ الشاب في الكتب التي يدرسها أن الصوفي فلانا غسلته الملائكة، وأن فلاناً كان يصلي كل أوقاته في الكعبة، في حين كان يسكن جبل قاف، أو جزائر واق الواق!!!، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مدّ يده من القبر وسلم على الرفاعي!!، وأن فلانا عذبته الملائكة؛ لأنه حفظ القرآن والسنة وعمل بما فيهما، ولكنه لم يحفظ كتاب الجوهرة في التوحيد!!! وأن مذهبنا في الفقه هو الحق وحده؛ لأنه أحاديث حذفت أسانيدها!!! ويصدق الشاب بكل هذا، ويؤمن، وما كان يمكن إلا أن يفعل هذا.

إذ قال في نفسه: لو لم تكن هذه الكتب حقاً، ما درست في الأزهر، ولا درسها هؤلاء الهرمون من الأحبار، ولا أخرجتها المطبعة!! وهل كان يمكن أن يسأل نفسه مثلاً مثل هذا السؤال: أين من الحق البين من كتاب الله، هذا الباطل العربيد في هذه الكتب؟! لا، فلقد جيء به إلى طنطا ليتفقه في الدين على هؤلاء الشيوخ، وهاهو فقه الدين يسمعه من الشيوخ، ويقرؤه في الكتب، وحسبه هذا!!.

وتموج طنطا بالوفود، وتعج بالآمِّين بيت الطاغوت الأكبر من كل حدَب، ويجلس الشاب في حلقة يذكر فيها الصوفية اسم الله بِخَنَّات الأنوف، ورجَّات

الأرداف، ووثنية الدفوف، وثمَّتَ يسمع منشد القوم يصيح راقصاً: (ولي صنم في الدير أعبد ذاته) فتتعالى أصوات الدراويش طروبة الصيحات: (إيْوَه كِدَه اكْفَرْ، اكْفَر يا مَربِّي) ويرى الشابُّ على وجوه القوم فرحاً وثنياً راقص الإثم بما سمعوا من المنشد الكافر، فيسأل شيخاً مِمَّن وفدوا من أهل قريته: يا سيدي الشيخ: ما ذلك الصنم المعبود؟! فيزم الشيخ شفتيه، ثم يجود على الشاب الواله الحيرة بقوله: (إنته لِسَّه صُغيَّر)!! ويسكت الشاب قليلاً، ولكن الكفر يضج في النعيق، فيسمع المنشد يقيء: (سلكت طريق الدير في الأبدية) (وما الكلب والخنزير إلا إلهنا) ويطوي الشاب نفسه على فزع وعجب، يسائل الذهول: ما الكلب؟ ما الخنزير؟ ما الدير؟! وأنَّى للذهول بأن يجيب؟! ولقد خشي أن يسأل أحد الشيوخ ما دام قد قيل له: (إنته لِسَّه صُغيَّر) ثم إنه رأى بعض شيوخه الكبار يطوفون بهذه الْحمْآت يشربون (القرفة) ويهنئون الأبدال والأنجاب والأوتاد بمولد القطب الغوث سيدهم السيد البدوي!!!

وتُكَفِّن دورات الفلَك من عمر الشاب سنوات، فيصبح طالباً في كلية أصول الدين، فيدرس أوسع كتب التوحيد ــ هكذا تُسَمَّى ــ فيعي منها كل شيء إلا حقيقة التوحيد، بل ما زادته دراستها إلا قلقاً حزينا وحيرة مسكينة، ويجلس الشاب ذات يوم هو وصديق من أصدقائه مع شيخ صُوفِيّ أُمِّي، فيسألهما عن معاني بعض تهاويل ابن عطاء الله السكندري (إرادتك التجريدَ مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية، وإرادتك الأسباب، مع إقامة الله إياك في التجريد، انحطاط عن الهِمَّة العلية) ويحار الطالبان، ولا يدريان بم يجيبان هذا الأمي عن هذه الحكم المزعومة، وقد عرفا بعد أنها تهدف إلى تقرير أسطورة رفع التكليف، فتمتلىء نفساهما بالغم المهموم، إذ رسبا في امتحان عقده لهما أمي صوفي!.

ويدور الزمن فيصبح الشاب طالباً في شعبة التوحيد والفلسفة. ويدرس فيها التصوف، ويقرأ في كتاب صنفه أستاذ من أساتذته رأي ابن تيمية في ابن عربي.

فتسكن نفس الشاب قليلاً إلى ابن تيمية، وكان قبل يراه ضالاً مُضلاً، فبهذا البهتان الأثيم نعته الدردير!!.

وكانت عنده لابن تيمية كتب، بيد أنه كان يرهب مطالعتها، خشية أن يرتاب في الأولياء، كما قال له بعض شيوخه من قبل!! وخشية أن يضل ضلال ابن تيمية... ويقرأ الشاب، ويستغرق في القراءة، ثم ينعم الله على الشاب بصبح مشرق يهتك عنه حجب هذا الليل، فيقر به سراه المضني عند جماعة أنصار السنة المحمدية، فكأنما لقي بها الواحة الندية السلسبيل بعد دَوٍّ ملتهب الهجير. لقد دعته الجماعة على لسان منشئها فضيلة والدنا الشيخ: محمد حامد الفقي إلى تدبر الحق والهدى من الكتاب والسنة، فيقرأ الشاب ويتدبر ما يقرأ، وثَمَّتَ رُوَيْداً رُوَيْداً ترتفع الغشاوة عن عينيه، فيبهره النور السماوي، وعلى أشعته الهادية يرى الحقائق، ويبصر القيم. يرى النور نوراً، والإيمان إيماناً، والحق حقاً، والضلال ضلالاً، وكان قبل ــ بسحر التصوف ــ يرى في الشيء عين نقيضه. فيؤمن بالشرك توحيداً، وبالكفر إيماناً، وبالمادية الصماء من الوثنية: روحانية عليا، ويدرك الشاب ــ وهو لا يكاد يصدق ــ أن التصوف دين الوثنية والمجوسية، دين ينسب الربوبية والإلهية إلى كل زنديق، وكل مجرم، وكل جريمة!! دين يرى في إبليس، وفرعون، وعجل السامري، وأوثان الجاهلية، يرى في كل هؤلاء الذين لعنتهم كتب الله، بل لعنتهم حتى العقول، يرى فيهم أرباباً وآلهة تهيمن على القدر في أزله وأبده، دين يرى في كل شيء إلهاً يجب أن يُعْبَد، ورباً يخلق ما يشاء ويختار، دين يقرر أن حقيقة التوحيد الأسمى: هي في الإيمان بأن الله ــ سبحانه ــ عين كل شيء. دين لا تجد فيه فيصلاً بين القِيَم، ولا بين حقائق الأشياء، ولا بين الضد وضده، ولا بين النقيض ونقيضه. دين يقول عن الجيف ــ يتأذى منها النتن ــ وعن الميكروبات ــ تفتك سمومها بالبشرية ــ إنها هي الإله، وسبحان ربنا!! دين يقول عن القاتل، عن السارق، عن الباغي، عن كل وغد تَسَفّل في دناءته، عن كل طاغية بغى في تجبره يقول عن كل هؤلاء إنهم تعينات الذات الإلهية!! فأي إله هذا الذي يقتل،

ويبغي، ويفسد في الأرض؟ أي إلٰه هذا الذي يدب تحت جنح الليل تَتَلَظى في عينيه، وعلى يديه الإثم والجريمة الضارية؟ أي إلٰه هذا الذي يلعق دم الضحايا يُبَرِّدُ به غُلَّته، ويخضب بدماء الأعراض التي سفحها يديه الظالمتين؟ أي إلٰه هذا الذي مشى في أيام التاريخ ولياليه بطشا وظلما وجبروتا يدمر، ويخرب، ويصنع القصة الأولى لكل جريمة خاتلة؟! ومن يكون إلا إلٰه الصوفية الذي ابتدع أسطورته سلف ابنُ عربي، وابن الفارض وغيرهما!!؟.

أيتها البشرية التي تهاب القانون، أو ترهب السماء، ها هو دين التصوف يناديك مُلِحاً ملهوف النداء: أن تنحدري معه إلى حيث تَتْرَعين من كل خمرة مخمورة، وتتلطخين بكل فسق، وتتمرغين في أوحال الإثم!! وأنتم أيها العاكفون في المساجد: لا حاجة بكم إلى الصلاة والصوم والحج والزكاة، بل لا حاجة بكم إلى رب تحبونه وتخافونه، وترجونه، ولا إلى إله تعبدونه.

لم هذا الكدح والجهاد والنَّصَب والعبودية؟ لم هذا وكل فرد منكم في حقيقته هو الرب، وهو الإله كما يزعم الصوفية!!؟ ألا فأطلقوا غرائزكم الحبيسة، ودعوها تعيش في الغاب والدغل وحوشاً ضارية، وأفاعي فتاكة! وأنتم يابني الشرق! دعوا المستعمر الغاصب يسومكم الخَسْف والهوان، ويُلَطِّخ شرفكم بالضعة، وعزتكم بالذل المهين، ويهيمن على مصائركم بما يهوى بطشه الباغي، وبَغْيُه الظلوم. دعوه يهتك ما تحمون من أعراضٍ، ويدمر ما تشيدون من معال، وينسف كل ما أسستم من أمجاد، ثم الثموا ضارعين خناجره وهي تمزق منكم الحشاشات، واهتفوا لسياطه، وهي تشوي منكم ــ أذلاء ــ الجلود. فما ذلك المستعمر عند الصوفية سوى ربهم، تَعَيَّن في صورة مستعمر.

دعوا المواخير مُفَتحةَ الأبواب، ممهدة الفِجاج. ومَبَاءات البغاء تفتح ذراعيها الملهوفتين لكل شريد من ذئاب البشر، وحانات الخمور تطغى على قدسية المساجد، وأقيموا ذَهَبِيَّ الهياكل للأصنام، وارفعوا فوق الذُّرَى مُنْتِنَ الجِيف، ثم

خروا ساجدين لها، مسبحين باسم ابن عربي وأسلافه وأخلافه. فقد أباح لكم أن تعبدوا الجيفة، وأن تتوسلوا إلى عبادتها بالجريمة!!

ذلكم هو دين التصوف في وسائله وغاياته، وتلك هي روحانيته العليا!! ألا فاسمعوها غير هيابة ولا وجلة، واصغوا إلى هتاف الحق يهدر بالحق من أعماق الروح: إن التصوف أدنأ وألأم كيد ابتدعه الشيطان لِيُسَخِّر معه عباد الله في حربه لله ولرسله. إنه قناع المجوسي يتراءى بأنه رباني، بل قناع كل عدو صوفي العداوة للدين الحق. فتش فيه تجد برهمية، وبوذية، وزرادشتية، ومانوية، وديصانية. تجد أفلوطينية، وغنوصية. تجد فيه يهودية، ونصرانية، ووثنية جاهلية. تجد فيه كل ما ابتدعه الشيطان من كفر، منذ وقف في جرأة صوفية يتحدى الله، ويقسم بعزته أنه الذي سيضل غير المخلصين من عباده. تجد فيه كل هذا الكفر الشيطاني، وقد جعل منه الشيطان كفراً جديداً مَكْحُول الإثم مُتَبَرِّج الغواية، مُتَقَتِّل الفتون، ثم سماه للمسلمين: (تصوف) وزعم لهم ــ وأيده في زعمه القُدامَى والمحدثون من الأحبار والرهبان ــ أنه يمثل أقدس المظاهر الروحية العليا في الإسلام!! أقولها عن بينة من كتاب الله، وسنة خير المرسلين، صلوات الله وسلامه عليه، وبعون من الله سأظل أقولها، لعلي أعين الفريسة التعسة على أن تنجو من أنياب هذا الوحش الملثم بوشاح الدعة الحانية العطوف، ولكن سلوا الصوفية سوداً وبيضاً، خضراً وحمراً، سلوهم: ما ردُّكم على هذا الصوت الهادر من أعماق الحق؟ سيقولون ما قالت وثنية عاد: إن نراك إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء، وآلهتهم هي قباب أضرحة الموتى وأعتابها!! دمغناهم بالحق، فراحوا يعوون عواء اللص الحذر، وقع فجأة في قبضة الحارس، وجأروا بالشكوى الذليلة إلى النيابة، فلم تر النيابة فيمن يمسك بالبرىء إلا مجرماً، وشكوا إلى رئيس حكومة سابق، وختموا الشكاة بهذه الضراعة الذليلة: (والله نسأل لمقامكم الرفيع الخير والسؤدد في ظل حامي الدين حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم، صان الله عرشه، وأيد حكومته الرشيدة، وألهمها التوفيق)[1].

(١) قدموا هذه الشكوى بتاريخ ٤ أغسطس سنة ١٩٥١.

فلم ير الرئيس السابق فيمن يثرم أنياب الرقطاء مجرماً. وطاح الحق ببغي إلٰههم وملاذهم حامي دينهم، كما كانوا يلقبونه.

وما زلنا ـــ بعون من الله نستلهمه ـــ بكتاب الله نتحداهم، وبسنة رسوله صلى الله عليه وسلم نحاججهم، والله على كل شيء شهيد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

سيقول الناعمون ـــ من ذوي الألسنة التي استمرأت كلمات الذل والعبودية، وليونة النفاق، وممن يتملقون الجماهير على حساب الحق، ويزعمون أنهم لا يحبون إثارة شقاق، أو جدال، ولا الطعن على أحد ـــ سيقول هؤلاء: ما هكذا يكون النقد، ولا هكذا يكون البحث العلمي!! لا أيها المدلَّلون الخانعون للأساطير، فإنا لسنا أمام جماعة مسلمة، فنخشى إثارة الشقاق بينهم، ولو خشي الرسول مثل هذا لمالأ قريشاً على حساب الحق، ولكنه صلى الله عليه وسلم أطاع أمر ربه (١٥:٩٤) ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ ووعى قلبه ـــ المشرق المؤمن الطهور التقي ـــ موعظة ربه فيما قال له العلي الكبير (٦٨:٩) ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ﴾وفيما قال له (١٧:٧٣ ـــ ٧٥) ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا • وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا•إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا﴾ فكان سيد ما يستغفر به الرسول الكريم الأمين ربَّه: «اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت» فكيف بنا نحن الذين أُمِرنا أن نجعل الرسول وحده لنا الأسوة؟! ولسنا كذلك أمام فئة تحترم العقل، بل تزدريه وتحقره، ثم تهب في قحة طاغية الجراءة لتشتم الله، وتذود عن إبليس وفرعون وعبَّاد العجل والوثن، داعية المسلمين إلى اتخاذ هؤلاء أرباباً وآلهة، وسيرد على القارىء عشرات النصوص من فصوص ابن عربي وتائية ابن الفارض شهيدة عليهم بما ذكرت، وابن عربي وابن الفارض قطبا التصوف، وإماما الصوفية المعاصرة. فكيف يعاب علينا أننا ندافع عن دين الله، وأنا نقول للشيطان: إنك

أنت الشيطان؟! ماذا نقول عن رجل ــ وهو ابن عربي ــ يفتري أدنأ البهتان على الله، فيصوره في صورة رجل وامرأة يقترفان الإثم، مؤكداً لأتباعه أن الجسدين الآثمين هما في الحقيقة ذات الله، سبحانه؟! وسبحان رب العزة عما يصف الآثم.

فهل نلام إذا هتكنا القناع عن وجه هذا الرجل ليبصره المخدوعون به، ليبصروه مِسْخاً ثانيا للشيطان؟ إننا في ميدان مستعر الأتون، يقاتلنا فيه عدو دنيء يتراءى أنه الأخ الشقيق الحُنُوّ، النديُّ الرحمة، فلا أقل من أن نحاربه بما يدفع ضره وشره، ويحول بينه وبين القضاء على الرمق الذابل من عقائد المسلمين، وبين تشتيت الحشاشة الباقية من الجماعة الإسلامية.

هذا الكتاب: هو في الحقيقة كتابان صنفهما علم من أعلام القرن التاسع الهجري، هو: برهان الدين البقاعي، سمى أولهما: (تنبيه الغبي، إلى تكفير ابن عربي) وسمى الآخر: (تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد)[1] نقد فيهما ابن عربي وابن الفارض بخاصة، والتصوف المشاكل لدينهما بعامة. ومنهاج البقاعي في النقد يقوم على أصلين:

أولاً: نقل نصوص كثيرة عن: (فصوص الحكم) لابن عربي، وعن: (التائية الكبرى) لابن الفارض، وقليلاً ما يعلق البقاعي على هذه النصوص، أو يكشف عما فيها من مجافاة لروح التوحيد القرآني. معتمداً على فطنة القارىء ومعرفته بدينه، فهما كفيلان بإدراك مافي هذه النصوص من كفر ومجوسية، يدركهما القارىء حتى باللمحة الفكرية الهافية.

الآخر: ذكر فتاوى كثيرة عن أعلام شيوخ القرون: السابع والثامن والتاسع الهجرية، ومما لاحظته: أن المؤلف لم ينقل عن ابن تيمية سوى النزر اليسير جداً

---

(١) لما كان الكتاب ينقد التصوف نقداً قاتلاً، فقد سميناه «مصرع التصوف» وأعتذر عن مخالفة الأصل في التسمية لطول عنواني الكتابين، ولما في أحدهما من تعريض بالقارىء.

بيد أن هذا مما يجعل للكتاب خطره الكبير في نظر المتصوفة على معتقدهم، إذ مايستطيعون اتهام أحد ممن ذكرهم البقاعي بالخصومة، كما كانوا يفعلون ـــ مفترين ـــ بالنسبة إلى الشيخ الإمام ابن تيمية. فهؤلاء الذين أفتوا بكفر ابن عربي وابن الفارض: إما فريق قد ناهض ابن تيمية وخاصمه، ولكنه أدلى معه بدلوه في فضح الصوفية، وإما فريق لم يعرف عنه لا موالاة جلية ولا خصومة صريحة لابن تيمية، وإن كانوا فيما يذهبون إليه في مسألة العقيدة يخالفون ابن تيمية؛ فجلهم من أئمة الأشاعرة، وإما فريق كان له جاه ومقام كبيران في التصوف، كعلاء الدين البخاري، وهو أقسى هؤلاء جميعا حملة على ابن عربي وابن الفارض، ومن دان بدينهما.

عملي في الكتاب:

أولا: تحقيق نص الكتاب: وهو إما نقول عن فصوص ابن عربي وتائية ابن الفارض، أو عن كتب علماء نقدوا التصوف، وإما من إنشاء المؤلف. أما ما نقله عن الفصوص: فراجعته على مطبوعة الحلبي بتحقيق الدكتور عفيفي، وجعلتها العمدة في تحقيق نصوص الفصوص، وقد أيقنت من هذه المراجعة أن المؤلف أمين جداً فيما نقل. بيد أنه كان يترك أحياناً ماله رحم ماسة بالكشف عن حقيقة معتقد ابن عربي، أو ما لابد منه للربط بين نصوص الفصوص، وأحياناً كان يسقط منه ـــ أو من الناسخ ـــ بعض ألفاظ، وكل هذا أثبته عن الفصوص وجعلته بين قوسين هكذا [ ]، وقد أشرت في الهامش إلى هذا وإلى أرقام الصفحات التي وردت فيها هذه النصوص، حسب ترقيم صفحات فصوص الحكم، طبع الحلبي، حتى يسهل على القارىء مراجعة كل ما نقله المؤلف عن الفصوص في مصدره الأصيل.

أما أبيات تائية ابن الفارض فراجعتها على مرجعين: أحدهما: ديوان ابن الفارض، طبع بيروت، والآخر: شرح تائية ابن الفارض للكاشاني، المطبوع على هامش شرح ديوان ابن الفارض، المطبوع سنة ١٣١٠هـ في المطبعة الخيرية، أما ما

نقله عن العلماء فقد بذلت كل الجهد في سبيل تحقيق نقوله بمراجعتها في كتب أولئك العلماء، وأشرت إلى أرقام الصفحات التي وردت فيها تلك النقول في مصادرها الأصلية، مثل ما فعلت بما نقل المؤلف عن الشفاء لعياض، والمواقف للإيجي، والملل للشهرستاني وغيرها، حتى يسهل أيضاً على القارىء مراجعة آراء هؤلاء العلماء في كتبهم هم. وقد يسر الله سبحانه، فوجدت بعض ما نقله البقاعي من فتاوى عن العلماء في عصره وقبل عصره مذكوراً في كتاب: (العلم الشامخ) للعلامة المقبلي، بتحقيق وتعليق العلامة الشيخ رشيد رضا، فراجعت بعض نقول البقاعي عن العلماء الذين لم أعثر على كتبهم في (العلم الشامخ)، وأثبت زيادة (العلم)، وجعلتها بين قوسين هكذا [ ]، ويشهد الله أني لقيت في سبيل ذلك نصباً كبيراً، كان من نتائجه أن أصبحت أمانة البقاعي في النقل فوق كل مظنة، وسيكون من آثاره اطمئنان القارىء إلى كل ما نقله البقاعي عن الفصوص والتائية، وكتب العلماء، وما نقل عنهم من فتاوى.

أما ما كان من أسلوب المؤلف: فتركته على حاله، فما صوبت فيه إلا ما تجزم قواعد العربية بخطئه مشيراً إلى ذلك في الهامش.

ثانياً:

ترجمت لمعظم من ذكروا في الكتاب ترجمة مختصرة، ولقيت في سبيل هذا مشقة وجهداً؛ سببهما: أن المؤلف كان يذكرهم إما بألقابهم أو كناهم، في حين تذكرهم كتب التراجم بأسمائهم أولا.

ثالثاً:

ترجمت لكل فرقة أو نحلة جاء ذكرها في الكتاب ترجمة ذكرت فيها أهم الأصول لتلك الفرقة، أو هذه النحلة، معتمداً على أصدق المراجع.

رابعاً:

حققت كل ما ورد في الكتاب من أحاديث، وخرجتها تخريجاً صحيحاً، إذ كان

يخطيء المؤلف أحياناً في نسبتها إلى رواتها.

خامساً:

ولما كانت بعض نصوص الفصوص غامضة تخفى معانيها ومراميها على بعض القراء، وكذلك بعض أبيات تائية ابن الفارض ــ لما كان ذلك كذلك: فقد شرحت في الهامش تلك النصوص وهذه الأبيات، ويشهد الله ما فهمت في الألفاظ غير معانيها التي لها في عرف الصوفية، ولا فسرتها إلا بما هو مقرر عند شراح الفصوص والتائية من الصوفية.

سادساً:

برهنت في كثير من المواضع على مخالفة ما ذهب إليه الصوفية للنقل وللعقل، إذ كان المؤلف يكتفي بإيراد النصوص تاركاً للقارىء الحكم عليها، وهو حكم يجزم به كل من له أدنى فهم لحقيقة التوحيد.

سابعاً:

في الكتابين كثير من مصطلحات الصوفية، كالفناء والجمع، وجمع الجمع، والقطب، وقاب قوسين، وغيرها، وقد فسرت في هامش الكتاب هذه المصطلحات الصوفية معتمداً على كتبهم هم، حتى يخلص الكتاب للحق والإنصاف، والصدق.

ثامناً:

عنونت لمواضيع الكتابين؛ إذ خلا كلاهما إلا من عناوين قليلة وضعها الناسخ، أو المؤلف على هامش الكتابين، ومعظمها ليست ذات دلالة على ما وضعت له.

تاسعاً:

رقمت ما ورد في الكتاب من الآيات القرآنية، والرقم الأول يدل على السورة، والثاني على الآية.

ملحوظة: تشير الأرقام الواردة في صلب متن الكتاب إلى صفحات النسخة

المصورة التي اعتمدت عليها في نشر هذا الكتاب.

الأصل المطبوع عنه: يملك النسخة التي عنها نشرنا الكتاب: سَرِيُّ جدة الجليل، الشيخ محمد نصيف. وقد تفضل ـــ كدأبه دائماً في العمل على نشر العلم ـ فأعطاها إلى فضيلة أستاذنا الكبير الشيخ محمد حامد الفقي ليعمل على نشرها، فتفضل أستاذنا، ووكل إلي أمر تحقيقها والتعليق عليها.

وصف النسخة: وقد عثر على النسخة الخطية الأصيلة لكتابي البقاعي، العلامة شيخ العروبة في وقته: أحمد زكي، عثر عليها في خزائن القسطنطينية، فنقلها بالتصوير الشمسي في مجلد واحد. ثم نقل عن نسخته المصورة نسخة أخرى بالتصوير الشمسي أيضاً في مجلد واحد وأهداه إلى العالم الجليل: الشيخ محمد نصيف.

وقد ورد في الصفحة الأولى من الأصل الذي نشرنا عنه هذا الكتاب ما يأتي: (نقلت باسم الله هذا الكتاب بالتصوير الشمسي من خزائن القسطنطينية،وأضفته إلى مجموعة كتبي التي أودعتها قبة الغوري بالقاهرة باسم الخزانة الزكية،وجعلتها وقفا على العلماء وطلبة العلم، نفع الله بها) ثم يلي ذلك إمضاء (وكتبه: أحمد زكي) وورد أيضاً في الصفحة الأولى ما يأتي: (وهذه النسخة المنقولة عنها هدية إلى خادم العلم الإسلامي والعمراني بالحرمين الشريفين الشيخ محمد نصيف، فخر جدة أعانه الله) ثم يلي ذلك إمضاء (أحمد زكي)،وتاريخ الإهداء ٥ محرم الحرام سنة ١٣٥٢هـ الموافق ٣٠ أبريل سنة ١٩٣٣م، وقد صورت النسخة المهداة سنة ١٩٣٣م بمطبعة دار الكتب قسم التصوير.

والنسخة مكتوبة بخط فارسي جميل، وناسخها سليمان بن عبد الرحيم. وقد انتهى من نسخها ـــ كما ذكر هو في آخر الكتاب ـــ سنة ١٩٤٧هـ وتقع النسخة في ٨٤ صفحة، وقد كتبت ورقاتها من وجه واحد ومسطرتها تبلغ ٢١ سطرا، ويقع الكتاب الأول منها، وهو: (تنبيه الغبي) في ٥٩ صفحة، والثاني وهو: (تحذير العباد) في ٢٣ صفحة.

وقد كتب الشيخ الجليل: محمد نصيف على نسخته ما يأتي: (أقول أنا: محمد نصيف بن حسين بن عمر نصيف: سألت السائح التركي ولي هاشم عند عودته من الحج في محرم سنة ١٣٥٥هـ عن سبب عدم وجود ما صنفه العلماء في الرد على ابن عربي، وأهل نحلته الحلولية والاتحادية من المتصوفة. فقال: قد سعى الأمير السيد عبد القادر الجزائري بجمعها كلها بالشراء والهبة وطالعها كلها، ثم أحرقها بالنار، وقد ألف الأمير عبد القادر كتاباً في التصوف على طريقة ابن عربي. صرح فيه بما كان يلوح به ابن عربي، خوفا من سيف الشرع الذي صرع قبله: (أبو الحسين الحلاج) وقد طبع كتابه بمصر في ثلاثة مجلدات، وسماه: (المواقف في الوعظ والإرشاد)، وطبع وقفاً، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

شبهة: يقول بعض من لا يستبطنون خبيئة التصوف، ويرسلون النظرة الكاشفة إلى أعماقه: وهل تدين الصوفية المعاصرة بما دان به ابن عربي، وابن الفارض، حتى تحكموا عليهم بما حُكِم به على ابن عربي وابن الفارض، أو حتى يصلح هذا الكتاب رداً عليهم؟! وأقول لهذا السائل: نعم، تدين الصوفية المعاصرة بوحدة الوجود، وبوحدة الأديان، فإنما هو أمر مُبَيَّتٌ للدين الحق، يتوارثه الصوفية خلفا عن سلف، ليكيدوا به لهذا الدين الحق. وفي أورادهم دليل ما نقول. وفي تقديسهم لابن عربي وكتابه الفصوص، ولابن الفارض وتائيته: حجة على أنهم يدينون بدينهما، فالأول عندهم (الشيخ الأكبر)،والثاني: (سلطان العاشقين) وياطالما قلنا للصوفية المعاصرة: أن تغنم رضاء الله مرة فتبرأ إليه من ابن عربي، وابن الفارض، بل حتى من كتبهما وأشعارهما، قلنا لها ذلك، فكان أن برئت إلى أصنامها ممن يقدم لها النصح ابتغاء وجه الله. واستغاثت بالأحياء وبالأموات من الطواغيت، حتى لا ينزع الناصح تاج القداسة الزائف عن الشيطان المريد!!

وقد يقول قائل: وما بالكم تخصون الصوفية بهذا كله؟!

وأقول: بل هو جهادنا الأول. ونقتدي في هذا برسولنا وأسوتنا عبد الله

ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، إذ بدأ دعوته بالدعوة إلى الله وحده، وإلى النهي عن اتخاذ شركاء أو شفعاء من دون الله رب العالمين، بدأ بوحي من الله بدعوة الناس إلى التوحيد الخالص، وإذا ما تمكنت عقيدة التوحيد الخالص من قلب المسلم، جعلته إنساناً مثالياً في دينه وخلقه وروحانيته، ودفعت به إلى الحياة بطلا يعمل باسم الله لتحقيق المثل العليا للجماعة المسلمة، بل للإنسانية عامة، وجعلت منه ولياً كريما للحق والعدل والخير والصدق والسمو والكرامة، وذلك لأنه يحمل قلباً مؤمناً لا يحب إلا الله، ولا يرهب غير الله، ولا يتقي غير الله، ولا يرجو إلا ثواب الله، ولا يطيع غير الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. أما الصوفية سواء كانت نظرية أم عملية، فقد قامت لتصرف الناس عن عبادة الخالق، إلى عبادة المخلوق. إنساناً كان أم حيوانا، ملكا أم شيطانا، حياً أم ميتاً، لتجعل من المسلمين عباد هوى وشهوة وأوثان.

ناج القلب الصادق الإيمان باسم الله يَتَجَاوَبُ معك، أَبِنْ له عن أمر الله، تجده يتلمس كل سبيل إلى طاعة أمر ربه سبحانه، ناشده باسم الله ما يحب الله تجده طيِّعاً ذلولا في عزة ونبل وكرم وإيثار. ثم سل القلب الصوفي بعض ما سألت قلب المؤمن، فلن يسمع لك إلا إذا ناجيته باسم طواغيته: ابن عربي، وابن الفارض، والشعراني وأمثالهم، أو باسم أوثانه وأصنامه، من قباب آلهته الموتى.

فنحن إذن نعمل ليكون لله وحده الدين خالصاً، ولتكون قلوب عباده إيمانا به وحده، وحباً له وحده، ورجاء فيه وحده، وتقوى له وحده، ولتتوحد الجماعة الإسلامية بهذا الإيمان، وهذا الحب، وهذا الرجاء، وهذه التقوى.

وإلى العلي القدير أضرع أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعل من المسلمين أمة واحدة تعمل بقول الله سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾.

القاهرة: الجمعة ١٢ من صفر سنة ١٣٧٢هـ
٣١ أكتوبر سنة ١٩٥٢م

عبد الرحمن الوكيل
عضو جماعة أنصار السنة المحمدية